

الظاهرة الدينية على محك المغالطة الإعلامية في العالم العربي

- الرمز والواقع -

عبد النور صديقي

جامعة جيلالي لباس/سيدي بلعباس، الجزائر

seddikinour@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2024/06/24 ؛ تاريخ القبول: 2024/07/12

**The religious phenomenon on the touchstone of the media
fallacy in the arab world - symbol and reality -**

Seddiki Abdennour

Abstract: The issue of using symbolic language in the field of Arab religious media is one among the issues that preoccupied researchers, with regard to the fact that language is a the principle means of effective communication in our Arab-Islamic society. The follower of our Arab media sees that it employs, in its media programs, an ideological discourse which is characterized by ambiguity in the content of its message addressed to followers. Especially as the circulating media discourse of the social phenomenon breaker, generally serves to pass a package of social disadvantage, generally used to pass a package of political, ideological and cultural messages..., but this discourse requires stopping at its characteristics and details, and trying to analyze them in a sociological analysis when dealing with the religious phenomenon with its characteristics in our Arab world.

Keywords: symbolic discourse; religious phenomenon; informational message; Arab media; language practices.

عبد النور صديقي

seddikinour@yahoo.fr

Almawaqif

Vol. 20 N°: 01 Septembre 2024

الملخص:

تعدّ مسألة توظيف اللغة الرمزية في حقل الإعلام الديني العربي من بين أكثر القضايا التي شغلت عقول المهتمين والباحثين، كون أن اللغة هي رمز من رموز التواصل الفعّال في مجتمعنا العربي الإسلامي. والمتتبع لإعلامنا العربي يرى أنه يوظف خطاباً إيديولوجياً في برامجهم الإعلامية إلى جانب التباس في مضمون الرسالة الإعلامية الموجهة إليه، وفي ظلّ هذه الظاهرة، تطرقنا لهذا الموضوع لمعرفة أهم النقاط التي تثير الجدل التواصلي لواقع اللغة الإعلامية والظاهرة الدينية في عالمنا العربي. خاصة وأنّ الخطاب الإعلامي المتداول لمختلف الظواهر الاجتماعية، عامة ما يعمل على تمرير حزمة من الرسائل السياسية والإيديولوجية والثقافية ...، إلا أن هذا الخطاب يستدعي التوقف عند مميزاته وتفصيله، ومحاولة تحليلها تحليلاً سوسيوولوجياً لدى تناوله الظاهرة الدينية بما تحمله من خصائص في عالمنا العربي.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الرمزي؛ الظاهرة الدينية؛ الرسالة الإعلامية؛ الإعلام العربي؛ الممارسات اللغوية.

مقدمة:

بات الخطاب الذي يفرزه رجل الإعلام العربي سواء كان أيديولوجياً متطرفاً يخدم أجندات محددة أو معتدلاً، يجسّد نموذجاً متوافقاً بين كلّ الأطراف الفاعلة في حقل الممارسات الدينية، فلكي ندرك -ولو نسبياً- أبعاد هذا التوافق؛ يجب تحديد مقاربات نسقية تفاهمية لهذا الخطاب الذي يتجلى في سياقات شبكات التواصل والقنوات الإعلامية المباشرة. وبعيداً عن إكراهات اللغة وتطرفها، يجب أن نضع أنفسنا أمام مفاهيم أكثر ليونة من مفهوم العقيدة والتحيزات الفقهية في الفكر الإسلامي على وجه الخصوص، فالفاعل الاجتماعي بممارساته وطقوسه التعبدية، يحيل إلى إنتاج قواعد صلاحية وتصديقات جامدة، تتجلى في الأفعال والممارسات

والشعائر وفي التنظيم الاجتماعي والثقافي، لتتشكّل منظومة تضفي عليها التأويلات العلمية المعقلنة والوجاهة الإبتيمولوجية بوصفها عناصر خاصة لتتخرط فيها الظواهر الدينية على شكل أنساق مدركة، إذ يدرك التحليل الألسني أو الاجتماعي للظواهر الدينية بوصفها تخرط في وحدة من السمات التي تعتبرها وجيئة، الأمر الذي يجعل الظواهر معقولة، وفقاً للعلاقات التي تربطها فيما بينها، مثلاً: الشكل الديني أو اللاهوتي الذي يحيل عبر تنظيمه الخاص من خلال طبيعته التراتبية والمواضيع المذهبية (محمد شوقي الزين، 2013: ص 192)، إلا أنّ التمهيد القائم اليوم في العالم الإسلامي والغربي قد يستند الرمز ودلالاته مع الواقع الخاص بالحياة اليومية، فأحياناً يروج الإعلام لأفكار ثابتة جامدة لا تعكس ذلك الواقع بقدر ما تتركس اللامجسد وثنائية (المادي/المعنوي)، ونجد أنّ الأدبيات الغربية قد تضمّنت عملية إضفاء صبغة المجسّد على الواقعية، كما نجد ذلك في الواقعية الأدبية وبالمقابل لون المجرّد على هذه الواقعية من مثل الواقعية الفلسفية، غير أنّ هذه الأدبيات الاجتماعية والإعلامية الغربية قد بدأت تستقلّ عن مصادرها الكنسية واللاهوتية والميتافيزيقية، ابتداء من القرن السابع عشر، مع عصر التنوير والثورة الصناعية، وتحول الهاجس المعرفي، والبحث عن الحقيقة الكائنة خارج الإنسان إلى حقيقة الإنسان في حدّ ذاته. (عبد الرحمن عزي، 2008: ص 18) فلذلك لا يجب الاقتصار على البعد المادي لتمرير المعلومات أو الرسائل الإعلامية، وذلك بإقصاء ذلك التدخل البنيوي الآلي والعادي في مضمونه، فلا تستوي الشروط الموضوعية لفهم الواقع... كما لا تقبل اختزال هذا الأخير للفهم في «نقل المعلومة من الحقل الظاهراتي إلى حقل الرموز المرتبطة في شكل بنية...»، حيث لا تقبل معادلتها التي مفادها أنّ المعلومة التي تتضمنها رسالة معينة هي وظيفة لاحتماليتها... (بيرنار مبيج، 2011: ص 53)، لكن قبل أن نؤكد على وساطة الرمز، الدلالة والمعنى بين الواقع والرسالة الإعلامية، وجب أن نلتفت ولو قليلاً نحو رؤية الإنسان العربي لهذا الواقع من منظور

خلفيته البين ذاتية للموضوع، وفي استعراض نادر يقدم حسن بوعزيزي بحثه المعنون بـ: (سوسيولوجيا اللامبالاة، دراسة في التعبيرات الصامتة لدى الشباب التونسي) حيث ينتقل بين الاستشهادات المتنوعة ليقدم لنا مدخلاً نظرياً لبحثه بدءاً بتفكيك المفهوم وإعادة بناءه ليلانم ما يبتغيه منه، محولاً إياه إلى باراديغم يقود إلى ظاهرة اجتماعية مجسدة على أرض الواقع تنتظر الدراسة، رغم أن اللامبالاة (منطقة رمادية) من المواقف والأفعال الاجتماعية السلبية التي تنتظر تفسيرها، أظهرت الدراسة الميدانية أن الشاب التونسي «مشياً، لا يتكلم، وإن تكلم لا يكاد ينتج سوى (لا المعنى)، مرجعاً ذلك إلى غياب الرؤية والمرجع وأنه لم يتعود موضعه ذاته، ولم يتدرب على بناء رؤيته لنفسه وللعالم، فيتعرض بسبب ذلك لاستلاب يجعله يدرك العالم بعيون الآخرين». (أليساندرو بيتي وآخرون، 2011: ص 166)

فالنظر إلى الواقع يكون خاضعاً لديالكتيك متبادل بين الذات والآخر، لكن كيف يكون لهذا الديالكتيك معنى في إطار أدوات وأدائية وعقلانية الاتصال ووسائله؟ كيف يتموضع هذا الأخير في سياقات اللغة الرمزية المتبادلة؟ هل يدرك الإعلام العربي خصائص الشبكات الدلالية الرمزية الخاصة بالممارسات الشعائرية والطقوس وتمثلاتهم للشرائع والعقائد؟

إنّ الإعلام العربي في مجاله المرئي والمسموع كان أقرب من الذات في البيئة العربية، حيث هذه الرمزية مقصودة وموجهة، إنّ المجال التواصلية يصنع رمزية من خلال أمواج الصور المتدفقة، ومعنى الرمزية أن تفبرك واقعاً موازياً للواقع وللحقيقة، موازياً له معلوماتياً، وثقافياً وقيماً، ليس بالمفهوم البنيوي التفكيكي، وليس انتصاراً مطلقاً لفكر ما بعد الحياة الذي يعيد التأمل في الطرح البنيوي، بل قناعة بأنّ (الرمزي) صناعة أمبريقية اندمجت زمنياً مكانياً (صليحة بودفة، مارس 2010، ص ص 66- 67). وعلى حدّ تعبير عبد الرحمن عزّي، حيث يؤكد لنا على أنّ بعض المقدمات التعريفية الخاصة بالواقع لا تساعدنا إلا

جزئياً في تعريف الواقع، فمحور الإشكالية لديه: ما هو الواقع في موضوعنا عن الواقع، والخيال على الثنائية الإعلامية؟

الرمزية الدينية - نحو البحث عن المصادقية:

أصبح ما يواجهنا ونحن نرغب في فكّ شفرة الرسالة الإعلامية، المنطق الثنائي للوضعية الرمزية لكن في سياقها المتعالي والمثالي أو العكس، فلقد استخدم المتنوّرون (الرمزية العكسية) فوضعوا رموزها في كل مكان حولنا، لكنهم يقدمونها بعكس معناها الحقيقي، كما والحمامة ترمز للسلام لدى معظم الناس، في حين تمثل الآلهة بالنسبة للأسلاف المتنورين، والملكة ساميراميس، كما أنّ الشعلة المضاءة تعني الحرية والانعتاق، لكن لدى المتنوّرين تعني رمز جدول الأعمال والسيطرة.... (ديفيد آيك، 2017: ص 360)، وهذا يتوقف على طبيعة اللغة الرمزية وصاحب أو مكانة صاحب الرسالة الإعلامية الذي يحرك منطق هذه الثنائية، إنّ هذه اللغة المشحونة إنما تنطلق من وحدة الأضداد: السلام في لغة العدو يعني الحرب، والدفاع يعني الهجوم، في حين أنّ تصعيد الحرب- نظر الجانب المصيب، هو تقييد الحرب والقذف بالقنابل إنما يمهد للسلام، وتنظم مع هذه التفرقة لغة تشير من قبل إلى العدو على أنه شرير في كيانه وفي كل أعماله ومقاصده. (هاربرت ماركيز، 2012: ص 261)

كما أنّه قد تتحوّل هذه (الرمزية العكسية) إلى أفعال كلام رمزية عكسية، كما أنّ مسألة الرمز نجدها حاضرة عند (كلود ليفي ستروس)، ففي نظره كلّ نموذج له نسقه ومنظومته الفكرية والثقافية، التي تتكفل دوماً بإعادة ترتيب علاقته مع تاريخه عن طريق الفعل العقلي المؤلّد لتلك الأنساق والمنظومات، إنّ فعل رمزي من حيث أنّ: الرموز لا

عبد النور صديقي

Almawaqif

seddikinour@yahoo.fr

Vol. 20 N°: 01 Septembre 2024

تمتلك دلالة باطنية وثابتة وهي ليست مستقلة إزاء ظرفها، فدلالاتها هي أساس موضوعية، إن هذا الفعل العقلي الذي يعيد ترتيب العلاقة بين المجتمع ومنظومته الرمزية، أطلق عليه (ليفي ستروس) مفهوم «الفعالية الرمزية التي تحول الأفعال الثقافية إلى تمرّد على الفوضى وحركة مقاومة اللا معنى». (يوبكر بوخريسة، 2006: ص 54)

فالخلاف المذهبي اليوم يتداخل ليشكّل خليطاً ومزيجاً بين مورفولوجية الرسالة الدينية ذات الأبعاد المذهبية وتوجهاتها الإيديولوجية، كالسلفية والإخوانية في مصر، أين نجد تنوعاً في طبيعة التوجّه الدعوي يتنوّع بحسب البنية الطبقيّة للمجتمع، فيتّـمّ تجريد هذا الفاعل الاجتماعي روحياً، فالقنوات التلفزيونية وشبكات التواصل الاجتماعي تساهم في فبركة الإنسان السوسيولوجي (homo sociologicus)، الإنسان التناظري (homo symétrique)، ليعيش هذا الأخير في عالم افتراضي تهيمن عليه أجنّـدات الدول المهيمنة والمتلاعبة بالّلغة الرمزية للسلام العالمي، حيث تتكيّف الصناعة الإعلامية العربية مع راهن الرأي العام والأطر العقائدية للمجتمع التقليدي وما بعد الحداثي، فتسقط هذه الصناعة في أوهام الأنسنة بثوب الدّين أو الشعيرة (الطقوس) ... أو العقلانية المفرطة، فالواقع على حدّ تعبير (ميشال دوسارتو) أمر مفترض مفقود يقوم الخطاب باقتناصه في رموز ولغات، فالمعتقدات غالباً ما تبدو للمراقب أقوالاً عقلانية، أما الشعور اللاعقلاني فهو ناجم عن وهم المركزية الاجتماعية. (لطفـي بن لعوج، 2018: ص 446)

لقد كانت العقائد والظواهر الدينية في الماضي علامات تحيل إلى حقيقة خفية وفي تحولاتها الاجتماعية أضحت عبارة عن أعراض تدلّ على أفعال وشعائر بمعزل عن مضامينها الرمزية أو الإيديولوجية، فالعلامة الدينية تعبر عن حقيقة مفارقة، يمنح فيها الخطاب علامات ودلالات تاريخية واجتماعية وليس دلالات ميتافيزيقية أو متعالية وهنا تتشكّل الوجهة الإبستمولوجية للمسافة النقدية بين الخطاب العلمي والعلامات

الدينية (محمد شوقي الزين، 2013: ص 58)، فالتحولات الاجتماعية قد تمسُّ نواة النماذج العقلانية التي فرضتها العولمة الاقتصادية على قيمة المنتج التبادلي لرمزية الرسالة الإعلامية الدينية... ففي نظر ماكس فيبر محتوى القانون الإسلامي لم يجد في عملية العقلانية ما يناسبه وعليه لم يزودنا بالمتطلبات الضرورية لظهور نماذج عقلانية تقوم على الحسابية (calculabilité) التي كانت لبَّ مفهوم الرأسمالية العقلانية (براين تيرنر، 1987: ص 169)، ففي السياق المعرفي للعمل الإعلامي، التركيز على كل ما هو عقلائي مقصّي، وكل ما هو مفاهيمي سابق في هيمنته على الأمبريقي والشكل الجماعي أكثر أهمية، بينما سنجد من جانب آخر (الإيجابي) تأملي، نفسه الرمزي متطابق له ويؤول إلى التوازن... (لطي بن لعوج، 2018: ص 160)، ولا يتسنى له هذا التوازن إلا إذا كانت اختياراته المذهبية منطقية وثنائية في مضمونها. نقصد بذلك ثنائية (الحلال/الحرام)، (المقدّس/المدنّس)، (المباح/المكروه) في إطار ما يسميه البعض بفقّه الواقع، الذي بدوره يلتقي مع تلك الرسائل الدينية المعولمة الخاضعة لعملية الاحتكار الإعلامي، فعلى هذا الصعيد لا يوجد فارق أساسي بين كيفية اشتغال الحقل الإيديولوجي كما حلّله بيار أنسار، أي كحقل لإنتاج الرسائل وبتّها وتداولها وكنسق تأثير وإقناع وترسيخ، فالرهانات المباشرة للخطاب أو الرسالة تتعلق بالاعتراف والمصادقية والسلطة الرمزية: الاعتراف بأن ما تقوله الفرقة المذهبية أو العقائديون الناطقون باسمها هو الصواب والحق، مع تحديد ما هو شرعي وإدانة ما يخالفه، جلب متلقّي الرّسالة إلى الاعتقاد والمشاركة في الآراء المعبّر عنها والإعراض عن المنافسين، واكتساب شرعية التأثير كأساس لممارسة سلطة رمزية عقائدية (عبد اللطيف الهرماسي، 2012: ص 158)، فما يشكّل ديناً معيناً - ومضمونه الخصوصي المتميّز - يعبّر عنه بالصّور والاستعارات التي يستعملها الأتباع لتصوير وتمثيل الواقع، حيث تركز وظيفته وصيرورته التاريخية على المؤسسات التي تجعل هذه الصور والاستعارات في متناول أولئك الذين يلجؤون إليها،

إذ يتعلق الأمر إذن بمقاربة دلالية للدين، يلخص يوهمان G. Bohmann تعريف كليفورد غيرتز (Clifford Geertz) انطلاقاً من عناصر مستخلصة من كتابه «الإسلام ملاحظاً» على النحو التالي:

«الدين منظومة من الرموز، تستهدف خلق حالات ذهنية ودوافع كلية، قوية ومستدامة، وذلك بصياغة رؤى ذات أبعاد أنطولوجية عامة، ويمنحها هالة من السهولة على النحو التي تظهر فيه الحالات الذهنية والدوافع متطابقة مع الواقع...» (محمد إبراهيم صالح، 2013، ص ص 80-81).

التدفقات الرقمية / داخل الواقع أم هي الواقع:

إنّ المشكل الذي يعتري التمثلات الدينية يكمن في الوسائط الاتصالية التي يوظفها الإعلامي وهو يمرّر رسالته المقدسة والملونة بخطاب بياني وشرعية مؤسساتية، يقربنا (كاتز) من هذا التصور قائلاً: «يقترح قراء مختلفون لنفس النصوص تفكيكات للرموز تتوزع حسب طبيعة إشراكهم المرتبطة بدورها بما تشيدهم ثقافتهم الخاصة كدور للقارئ وللاختلافات في السياقات المؤسسية والثقافية، من الواضح أنّ مفاهيم الإشراك والدور المشهدي تتمم ببعد سيكولوجي وسوسيولوجي حول دلالة الرسائل واستعمالات وأثار الوسائط». (بيرنار مبيج، 2011: ص 61)

يعمل الخطاب الإعلامي على تصوير الظاهرة الإعلامية إلى ظاهرة كمية إذا اقتضى ذلك، ويجعلها مولعة بالتوجه الكيفي في حالة ما إذا تطابق هذا التوجه إيديولوجياً، يعبر بعض منظري الإعلام والاتصال على هذه المغالطة بالاختلال الكيفي والكمي، ففي الاختلال الكمي يحصل العالم على أكثر من 80 بالمئة من أخباره من لندن وباريس ونيويورك، من خلال وكالات الأنباء العالمية الكبرى، بينما المعلومات الواردة من الدول النامية ضئيلة القيم لا تشغل إلا مساحة صغيرة لا يعنى بإبرازها، ومتواضعة من حيث التحرير والعرض، إلى الحدّ الذي

ينذر معه ظهور مناطق كاملة من العالم لفترات طويلة، وتحتكر الولايات المتحدة الأمريكية وحدها 75 بالمئة من الرسائل التي تتدفق عبر أنحاء العالم، أما تلك العابرة للقارات 65 بالمئة من تدفق الأخبار و50 بالمئة من تدفق البرامج التلفزيونية. (سمر طاهر، 2010، ص 24)

كما لا يأتمن المتلقي العربي لهذه المعلومة بالرغم من احتشامها كمياً، وهذا راجع إلى تحويل لغة التواصل إلى لغة متطرّفة أمبريقياً، حيث يكون هناك ارتياب في المذهب الأمبريقي (التجريبي) الذي غالباً ما يتمثل في تراكم المعطيات الكمية بغية القيام بتحليلات مقارنة، دون التساؤل بما يكفي حول دلالة عملية الجمع، هل يمكن حقاً مقارنة الناتج المحلي الخام (PIB) لبلد صناعي والذي تكون له مصادر إحصائية متعددة مع ناتج لبلد في طريق النمو لا يملك جهازاً إحصائياً موثقاً، وحيث لا تخضع جزء أساسي من الثروة المنتجة لعملية المحاسبة؟ في ردّ فعل للولع بالتكيم (Quantophrénie) (فيليب رتيور، 2015: ص 49)، أما الاختلال النوعي يركز على الجوانب السلبية كالكوارث، أو نشر الأخبار الإيجابية ولكن بعد تحريفها بالحذف أو التلوين، لتعزز الأنماط السائدة وتحمل معاني الاستعلاء العنصري والاحتكاري، فالاختلال الصارخ لصالح العالم الغربي يصاحبه تحكّم في مضمون الأنباء المذاعة في وسائل الإعلام الدول النامية وتصوير أية معارضة للنظام الغربي بأنّها نوع من (الإرهاب)، مما دفع سليمان صالح لاستخدام مصطلح (تدفق التضليل الإعلامي) لوصف الوضع القائم، حيث يتم تحريف الأخبار (Distortion of news) ويهدف إلى تشكيل صورة مصنوعة للواقع ليتمّ بواسطتها إدارة الصراعات العالمية، ولذلك يؤكد الكثير من العلماء مثل (أمبرتو إيكو) و(مايكل سوروكين) أننا نعيش عصر الزيف (سمر طاهر، 2010: ص 25)، حيث تتداخل الدلالات والمعاني مع رمزية الواقع الذي تتحكم فيه عشوائية شبكة التواصل الاجتماعي.

كما أكد بول ماتياس (Paul Mathias) بأنّ التدفّقات الرقمية ليست في العالم فحسب بل هي العالم: «المعلومة هي الواقع وليست في داخل الواقع أو أمام الواقع أو بالقرب من الواقع أو في إثر الواقع، وقولها - إنها الواقع- يعني أنّ تنظيم الحياة في مجموعها... كما لو أنّها حققت بتدفّقات من المعلومات لم تجعل منه مجرد أدوات بل عمارتها وحركاتها الفعليتين، في الشبكات ليست في الواقع، بل هي الواقع الذي ينبثق على العكس، عند ملتقى الشبكات... (ستيفان فيال، 2018: ص180)

لغة الآخر وأمبريالية المقولات:

إنّ الجهد اللّغوي الذي يقّده رجل الإعلام العربي يبقى محدوداً في سياق أرثوذكسي من حيث كونه ينطلق من مرجعية الحدث ونوعية الخبر والمعلومة التي يفتعلها أو يمررها هذا الأخير، أما من ناحية الرسائل الإعلامية وما مدى إسهامها في نشر الرسائل الدينية (الدعوية)، فالأمر لا يتعلّق باللغة ومقولاتها بقدر ما هي أزمة إبستمولوجية (تنخر صلب الموضوع العرفاني)، ومن جانب آخر نجد أن لغة الخطاب الإعلامي المرئي أو المسموع في عصر ما بعد الحداثة يحرك الآلة التأويلية للمعجم المفهومي أو المصطلحي الموروث عن الماضي، ومن جانب آخر نجد أنّ هذا الأخير مستعاد من قبل الحركات الشعبية والإسلاموية الحالية دون تأويل أو تفكير أو تجديد؟ حيث أنه مستعاد كما هو بشعاراته وألفاظه وأوامره ونواهيه، فإذا لم نقم بالمسح التاريخي الشامل للماضي فإننا لن نستوعب ذلك التمهّل القائم بين الدائرة الروحية والدائرة الزمنية، وبين المقدّس والديني، بين السيادة المهيمنة والسلطة السياسية، بين دار العبادة وسلطوية الدولة، وذلك في خضم العقلانية المؤقتة للعلوم الاجتماعية (محمد أركون، 2000: ص48).

فكل هذه الثنائيات خاضعة لميكانيزمات تشكيل لغة التواصل في عالم مجزأ، تفرض فيه اللغات الأجنبية منطقها الأحادي، ففي المغرب مثلاً هناك رجوع إلى اللغة العربية كأداة للتحديث مع عدم التخلي عن اللغة

عبد النور صديقي

Almawaqif

seddikinour@yahoo.fr

Vol. 20 N°: 01 Septembre 2024

الفرنسية باعتبارها أداة لإعادة خلق الذات، والحال أنّ الرجوع إلى «لغة الآخر» في بعض مناحي الإنتاج، قد يكون منعطفاً بديلاً للرجوع إلى لغات محتقرة أو مبخوسة من قبل الذات...، إلاّ أنّه وفي سياق مغاير يؤكد (جاك بيرك) على أنّه وبالرغم من ظاهرية هذين الحدين المتعارضين، يظلّ الخلق هو المعيار المشترك بمعنى تحريك تلك المؤهلات المخزونة، المعبرة عن الذات والعالم. (عادل المساتي، 2010: ص 141)

فمن منظور المقاربة الاتصالية، فإنه إذا كان الاتصال هو الذي يصيب التصرف كما يدعي الباحثون في مدرسة Alto-Palo، فمن الأنسب استبداله بأنماط جديدة ومن المناسب عقلنة التصرفات من خلال التعبير الشفهي، مكتسبين بذلك معايير جديدة سير طريق الاتصال في بعده الاجتماعي إنّه مفهوم (جماعة التطور) . (مرتين عبد الله بريتساي، 2003: ص ص 108- 109)

فبدون المقدرة على التجريد الخلاق لا يمكن أن نحقق أي تحرر من الواقع المباشر وواقعنا العربي أي حاضرنّا هو واقع ساهم الغرب في صياغته عن طريق جيوشه وسلعه ومفاهيمه، فإذا استمرّ الآخرون في القيام بعملية التعميم بالنيابة عنّا من خلال تجاربهم هم ومن خلال إدراكهم، فإنّهم سيلقون علينا (مقولاتهم) جاهزة، فإنّا أن نقبلها فنخضع لرؤيتهم، فنسقط في إمبريالية المقولات أو نرفضها فنقف في مهبّ ريح التفاصيل المتناثرة (عبد الوهاب المسيري، 2003: ص 291)، بعبارة أخرى هناك حالة من التدخل والتدخل الثقافي، تقوم فيه الحداثة بإزاحة منطق الممارسات اللغوية، من حيث بنيتها وسياقها الاجتماعيين ليقوم هذا الأخير بتوجيه الشعوب والدول وفق ميوله الأخلاقية ومراميه، إما تحت شعار الدعاية الإعلامية الإثنومركزية، فليست اللغة إلا أداة تتحكم في المخيلات ونمط العلاقات القائمة في المجتمعات العربية، فتخيم على إعلامنا العربي تلك الأنظمة المعرفية المغامرة التي تتسلّل في أنظمتنا الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي لتفكيك وحدة الشعور والحسّ

عبد النور صديقي

Almawaqif

seddikinour@yahoo.fr

Vol. 20 N°: 01 Septembre 2024

المشترك لدينا. فلو أخذنا على سبيل المثال المجتمع المغربي سنجد الاندفاع نحو اللغة الفرنسية، وقد يعبر هذا الاندفاع عن ازدواجية الفخ، يؤكد (جاك بيرك) على ذلك قائلاً:

«لنصفق على جرأة هؤلاء الشباب المغامرين وبشكل، نعجب منه، إذا اختار معظمهم لغتنا، بل لغة نوادينا الأدبية، لكن علينا أن لا ننسى أولئك الذين يوجه إليهم هذا الإبداع وما يقوم به من تفكك وخلق، قد يكون هؤلاء حقاً تغيروا كثيراً، لكن ليس بالأساس إلى الحد الذي يستطيع فيه أن ننزعهم الحق، أم حتى الواجب في أن يطلبوا من الكتابة المغربية أن تتحدث إليهم أولاً». (عادل المساتي، 2010: ص 141)

لا بدّ لنا من الإشارة هنا إلى أنّ النقص في معرفة اللّغة لا يعني أنّ الكتابة الصحفية لمراسل يعرف اللّغة، ستكون بالضرورة أفضل وأدقّ من الكتابة الصحفية لمراسل لا يجيد اللّغة، فقد جاء في بعض الدراسات أن هناك حالات استطاع فيها المحررون الموجودون في مركز الصحيفة إعطاء تقويمات أفضل وأدقّ حول الوضع في الشرق الأوسط من تلك التي أرسلها مراسلوهم، بالطبع فإنّ العكس صحيح أيضاً، فالكتابة في هذا المقام تكون موضوعية، من منظورها الصحفي وبالتالي تغيير الصورة، ليست بالأساس حاصل معرفة اللّغة أو الإقامة في مكان الحدث، بقدر ما هي مسألة درجة الاطلاع والحصول على المعلومات من جهة والتقويم الشخصي الذي يقوم به الصحفي نفسه لهذه المعلومات وللحدث من جهة أخرى، (سامي مسلم، 1985: ص 42) لكن عندما يتداخل الحقل الدلالي البياني بالرسالة الدينية، في سياق الرسالة الصحفية الدعوية (المؤدّجة) لا يكفي استحضار الحدث ونوع وصحة المعلومة، بقدر ما يجب إدراك واستيعاب المجال التداولي للمفاهيم التي ينتجها المجتمع بخطابه والصورة النمطية المقابلة لها التي يمررها الإعلام العربي عبر قنوات تلفزيونية أو رسائل إلكترونية.

إن الإعلام العربي اليوم يفكّك النسيج الاجتماعي ويعيد تشكيل الخرائط السياسية بشعاراته المؤلّاتية وذلك بإضفاء القداسة عليها، فأيّ نظام اجتماعي ينطوي على قيم ومبادئ يسعى لإقرارها، ويعمل على قيود المواطنين لها، حيث يمكن أن تعتبر هذه المهمة أو الهدف متصلة بوظيفة التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي (قريحة جابر، 2005: ص 85). فإذا كان معظم المراسلين على بعض الاستثناءات لا يجيدون اللغة العربية، فمن أين يحصلون على المعلومات حول الأحداث أو (الظواهر الدينية)، فكيف يكتبون تقاريرهم في الصحيفة اليومية؟ لقد أثارت هذه المسألة أكثر من أيّ مسألة أخرى أجوبة متفرّعة وردود فعل مختلفة...، فلقد أجاب بعض الصحفيين عن هذا السؤال بكلمتين فقط: (It depends) بالإنجليزية أو (Ça depend) بالفرنسية أي (يعتمد ذلك على...)، كما قال آخرون إنهم يحصلون على أخبارهم من خلال الاتصالات الشخصية (سامي مسلم، 1985، ص ص 42- 43)، لكن الظاهر أنّ الصحافة الأجنبية كان لها سبق في فرض لغتها وفبركتها على حساب اللغة المحلية. فإنّ القطيعة التي أحدثتها المؤسسات العلمية بين اللغات الاصطناعية العملية (Opérativité) منتظمة ولغات الجسد الاجتماعي، أضحت في الغالب بؤرة صراعات أو تسويات تصبح هذه الفجوة المتغيرة إستراتيجياً في المعارك الإعلامية للزيادة من سلطة التقنيات على الممارسات الاجتماعية أو التنديد بها، فهل تفصل بين اللغات الاصطناعية التي تقوم بتبيان الإجراءات في معرفة متخصصة، وبين اللغات الطبيعية التي تنظم النشاط الدلالي العام. (ميشال دوسارتو، 2011: ص 50)

الخاتمة:

لا يمكن تحليل الخطاب الإعلامي للظاهرة الدينية في العالم العربي من الناحية السوسيولوجية من دون فهم وتحليل وإعادة تحليل السياسات الدينية الرسمية المحلية والإقليمية وخاصة الدولية، والرجوع إلى

المرجعيات الرمزية والأخلاقية، وأنماط التدين المهيمنة، ومن دون اعتبار وظائف هذه القيم، وأدوارها في صوغ نمط جديد من التضامانات والتحالفات التي يسعى الخطاب الإعلامي الديني إلى تهشيم سبورتها. ومن ثم، فكلّ مفردات هذا الخطاب يتم تكثيفها للمهيمنة على التضامانات الاجتماعية والضمير الديني والروحي للمتدينين بل وحتى غير المتدينين، إن لم يكن يسعى إلى تفكيكها وبعثرة توازناتها الراسخة على أساس أن السيطرة على التضامانات الدينية مدخل للسيطرة على الدينامية الاجتماعية برمتها.

المراجع:

- أركون، محمد (2000)، **قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الإسلام اليوم**، ترجمة هاشم صالح، بيروت: دار الطليعة للنشر والتوزيع.
- الزين، محمد شوقي (2013)، **ميشال دوسارتو- منطق الممارسات ونكاء الاستعمالات- مدخل إلى قراءة تداولية**، ط1، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.
- المساتي، عادل (2010)، **سوسيولوجيا الدولة بالمغرب بإسهامات جاك بيرك**، سلسلة المعرفة الاجتماعية السياسية، بيروت، لبنان: دار الطليعة.
- المسيري، عبد الوهاب (2003)، **دفاعا عن الإنسان- دراسة نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة**، ط1، القاهرة، مصر: دار الشروق.
- الهرمسي، عبد اللطيف (2012)، **في الموروث الديني الإسلامي - قراءة سوسيولوجية - تاريخية**، بيروت، لبنان: التنوير للطباعة والنشر.
- أيك، فريد (2017)، **آليات المؤامرة الكونية لتركيع شعوب العالم**، ترجمة: مصطفى الشخب، ط1، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- بريتساي، مرتين عبد الله (2003)، **التربية والتداخل الثقافي**، ط1، بيروت، لبنان: دار عويدات للنشر والطباعة.

- بن لعوج، لطفي (أوت 2018)، الدين والمقدس، باراديفما جديدة لفهم الواقع الاجتماعي، مجلة الدراسات الصحافية واللغوية والفنية، برلين: المركز الديمقراطي العربي.
- بوخريسة، بوبكر (2006)، المفاهيم والعمليات الأساسية في علم النفس الاجتماعي، عنابة، الجزائر: منشورات جامعة باجي مختار.
- بوفعة، صليحة (مارس 2010)، حضارة المرئي: ثنائية الذات والمعنى في البيئة العربية- دراسات إستراتيجية، مجلة فصلية علمية محكمة، تصدر عن مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر: دار الخلدونية.
- بيتي، أليساندرو وآخرون (صيف 2011)، حالة الاستثناء والمقاومة في الوطن العربي، إضافات العدد الخامس عشر، المجلة العربية لعلم الاجتماع، بيروت، لبنان.
- تيرنر، براين (1987)، علم الاجتماع والإسلام، دراسة نقدية لفكر ماكس فيبر، ط1، ترجمة: د. أبو بكر أحمد عبد القادر، بيروت، لبنان: دار القلم.
- جابر، قميحة (2005)، أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية، المملكة العربية السعودية: نادي المدينة المنورة الأدبي.
- دوسارتو، ميشال (2011)، ابتكار الحياة اليومية - فنون الأداء العملي، ترجمة: محمد شوقي الزين، ط1، الجزائر العاصمة: منشورات الاختلاف.
- رتيور، فيليب (2015)، الدروس الأولى في علم الاجتماع، ط1، ترجمة: محمد جديدي، الجزائر العاصمة: منشورات الاختلاف.
- صالح، محمد إبراهيم (2013)، الدين بوصفه شبكة دلالية - مقارنة كليفورد غيرتز، معارف أنثروبولوجية حول المحلي، وهران (الجزائر)، عدد 04، إنسانيات، CRASC.
- طاهر، سمر (2010)، الإعلام في عصر العولمة والهيمنة الأمريكية- كيف أصبحت أمريكا سيّدة العالم في مجال الإعلام، ط1، الجيزة، مصر: دار نهضة مصر.

- عزي، عبد الرحمن (ديسمبر 2008)، دراسات في نظرية الاتصال - نحو فكر إعلامي متميز، ط1، سلسلة كتب المستقبل العربي/68، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- فيال، ستيفان (2018)، الكينونة والشاشة - كيف يغير الرقمي الإدراك، ترجمة إدريس كثير، ط1، المنامة، البحرين: هيئة البحرين للثقافة والآثار.
- ماركيز، هاربرت (2012)، فلسفات النفي، دراسات في النظرية النقدية - دراسات في النظرية النقدية، ط1، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة، مصر: دار الكلمة.
- مسلم، سامي (1985)، دور العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية، ط1، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
- مبيج، بيرنار (2011)، الفكر الاتصالي - من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة، ترجمة: أحمد القصور، الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.